133387

الأراء الفلسفية عند
أبى العلاء المعرى وعمر الخيام

دراسة مقارنة
تشمل الأوضاع
السياسية
والاجتماعية
والاقتصادية
والثقافية
والدينية

تأليف
الدكتورة تغريد زعيميان

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : الاراء الفلسفية عند أبى العلاء المعرى وعمر الخيام
تألـــــيف : د . تغريد زعيميان
17 x 24 سم . 296 ص.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2002/14723
اسم الناشر : الدارالثقافيةللنشر

AL Ara'i ALFalsafia
Dr. Taghreed Za'emean
17 x 24 cm. 296 p.
ISBN: 977 - 339 -105 - 1

الطبعة الأولى

1423 هـ/ 2003 م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر
الدار الثقافية للنشر - القاهرة
ص.ب 134 بانوراما اكتوبر 11811 - تليفاكس 4035694 - 4172769
Email: nassar@hotmail.com

إهداء وتقدير

أعرب عن جزيل شكرى وامتنانى لأستاذى الجليل الدكتور سعيد النجفى أسد اللهى، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة العلامة الطباطبائى؛ ولأستاذى الفاضل الدكتور نادر نظام طهرانى، الذى أعاننى على إنجاز هذا الكتاب بإرشاداته القيّمة، وسعة حلمه، فجزاه الله عنى خير الجزاء.

وكذلك أتقدم بجزيل شكرى لأستاذى الكريم الدكتور علىكَنجيان ، الذى استفدت من إرشاداته وتوجيهاته ، وأتوجه بالشكر لأساتذتى الكرام ، الدكتور خضير جعفر والدكتور صادق خورشا والدكتور مجيد صالح بك، ، وغيرهم ممن أعانونى على هذه الدراسة فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء.

وجديرٌ بى فى هذا المقام أن أنوّه بفضل زوجى سيد حسين قريشى فى معاونتى على حل كل ما كان يعترضنى من مشاكل معنوية ومادية، وكذا ابنتى إلهام التى صبرت معى وعانت جميع ما كنت أعانيه طوال فترة دراستى. و إلى كل من يسعى جاهداً بقلمه وعلمه إلى تبيين الحقائق العلمية ونشرها، خدمة للعلم والإنسانية، وفى سبيل نيل مرضاة الله وخلقه أولاً وأخيراً.

تغريد

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

مقدمـة

أحمد الله الذى كرّم الإنسان وعلّمه البيان، وأسبغ عليه نعمه وشمله بواسع رحمته، وجميل فضله، وأتوكل عليه وأستعين به فى جميع الأحوال، وأصلى وأسلم على خير خلقه وخاتم أنبيائه، حبيب إله العالمين محمد المصطفى (ﷺ)، وعلى أهل بيته الأطهار الأخيار، وأدعوه أولاً وأخيرًا أن يجعلنى من سالكى نهجهم، والثابتين على حبهم وموالاتهم كما أمرنا بذلك نبيّنا المكرّم نبيّ الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبعد؛

فرسالتى هذه وعنوانها "الآراء الفلسفية عند أبى العلاء المعرى وعمر الخيام"، ما هى إلا إسهام متواضع فى مجال الدراسات الأدبية المقارنة، أقدمها وأنا كلى أمل فى أن أكون قد تمكنت من تقديم دراسة وفق المنهج المطلوب للبحوث العلمية الأدبية، لتشكيل إضافة جديدة إلى الدراسات الأدبية وذلك بهدف مواصلة روافد الآداب الإسلامية بشكل عام وتعزيز العلاقات الأدبية الفارسية والعربية بشكل خاص.

أما الباعث الأساسى على اختيار هذا الموضوع، فهو رغبتى فى المقارنات الأدبية، والتعرف على الصلة التى تربط بين الأدبين الفارسى والعربى، وأيضًا اهتمامى الوافر لتقديم خدمة علمية ولو قليلة جدًا للغتين الشقيقتين العربية والفارسية، بالإضافة إلى الاختصاص الذى مهد لى سبيل البحث؛ وقد أعاننى على ذلك معرفتى باللغة الفارسية، فطالعت المصادر الفارسية المعنية بدراسة عمر الخيام وأيضًا أبى العلاء المعرى، ورغم تعددها واختلاف الآراء فيها حول هذين الشاعرين، بادرت إلى ترجمتها إلى العربية وقارنت بينها وبين المصادر العربية، فاخترت منها ما اطمأن إليه قلبى، وحرصت فى هذه الدراسة على أن أجمع بين الدقة والعمل وأن أخلص فى تبيين الحقائق العلمية، وألا أتسّرع فى الحكم القاطع على شاعرَى البحث، وخاصةً أن الآراء حولهما ـ كما ذكرت ـ مختلفة إلى أبعد غاية، الأمر الذى يقتضى أن يطيل الباحثُ إمعانه وتأملاته عند مطالعة المصادر العديدة التى تناولت رباعيات الخيام درست شخصيته من خلال تلك الرباعيات التى لا يُعرف أيتها

له أو لغيره أكثر من شخصيته الفلسفية ـ العلمية من جهة، وتلك المصادر التى عُنيت بالحديث عن أبى العلاء المعرى وشخصيته الأدبية، من جهة أخرى.

وأقول بصراحة، إننى قبل هذه الدراسة كنتُ أجهل حقيقة أمور كثيرة حول الشخصيتين أبى العلاء المعرى وعمر الخيام، ولم أكن أعرف عنهما سوى أنهما كشاعرين، اتُّهما بالكفر والزندقة بسبب ما نظماه؛ ولكن بعد مطالعات عميقة فى المصادر المختلفة والمتعددة، زالت عن ذهنى كثير من الأوهام والأخطاء والهنات التى طالما تكررت فى البحوث القديمة والمعاصرة، وعرفت من خلال هذا البحث، أن ظروف الحياة الصعبة التى أحاطت بأبى العلاء المعرى وإيمانه بالعقل المجرد، أخرجا منه شخصية متذبذبة الأحوال، جعلاه يتأرجح فى آرائه بين إثبات وإنكار؛ كما عرفت أنه رغم كل ذلك، كان إنسانًا مؤمنًا بالله الواحد الأحد، مقرًّا بوحدانيته وقدرته، وراجيًا عفوه ومغفرته حين تقوم الساعة.

أما الخيام الشاعر المشهور برباعياته، فهو ليس كما كنت أعتقد سابقًا، ذلك الرياضى الشهير والفيلسوف العظيم الذى له رسائل فلسفية تدل على شخصيته العلمية، المؤمنة بالله، إذ تبيّن أنه كان هنالك أربعة أشخاص اشتهروا باسم الخيام، وظهر أن الخيام الفيلسوف هو (عمر الخيامى) وليس عمر الخيام، وقد يجد القارئ لهذه الرسالة أننى ذكرتُ اسمه طوال هذه الدراسة تحت عنوان "عمر الخيام" دون ياء النسبة، وذلك لاشتهاره بين الناس فى جميع العالم بالخيام، أما الرباعيات التى اشتهر بها الخيام فمعظمها منحولة عليه، كان قد قالها شخص باسم "على الخيام" أو أشخاص آخرون، تحدثت عنهم المصادر المختلفة. هذا بالإضافة إلى أنّ الآراء التى احتوتها الرباعيات لم تكن لتُمثل شخصية الخيام الفلسفية، ليستعين بها القارئ على التفريق بين شخصية الخيام فى الرباعيات وشخصيته فى رسائله هذه.

نعم، كان الخيام عالمًا باللغة العربية، وقد صنف أكثر آثاره بهذه اللغة، كما كان قد تعرّف على أشعار أبى العلاء المعرى وآرائه المختلفة فيها، فقرأها وتأثر بما قاله أبو العلاء، ثم أنشد رباعياته التى قيل إنّ الأصيلة منها لم تتجاوز عدد أصابع اليد، وقد انعكست فيها آراء أبى العلاء بوضوح. فلم يبق شك لدى القارئ المتأمل فى أشعارهما، وخاصةً إذا ما كان قد عمد إلى عقد مقارنة بين آرائهما المنظومة، فى أنّ هنالك وجوه شبه كثيرة بين آراء الشاعرين تدل على هذا التأثير، وذلك التأثر.

أما الرسالة، فقد انتظمت فى ثلاثة أبواب، وكل باب اشتمل على ثلاثة فصول، اختص الفصل الأول من البابين الأول والثانى بدراسة أوضاع عصرى الشاعرين عمر الخيام وأبى العلاء المعرى، سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا واقتصاديًا ودينيًا، لما لهذه الأوضاع من أثر كبير فى تكوين شخصيتيهما أولاً ثم تكوين آرائهما الفلسفية فى آثارهما الأدبية ثانيًا. فكان لكل من الخيام وأبى العلاء آراء منظومة ومنثورة، عكست ما عاناه الشاعران من سوء الحالة السياسية، لفساد الأمراء والحكام، وتكالبهم على المناصب الدنيوية، وظلمهم الناس؛ ثم فساد الناس أنفسهم، وانتشار النفاق والجهل بينهم، وضيق الحالة المعيشية والفقر المزمن، ثم اختلاف المذاهب الدينية التى لم ينتج عنه سوى التشتت بين الفئات الإسلامية وغير الإسلامية من الأديان الأخرى كاليهودية والنصرانية، كل ذلك انعكس فى آثارهما الأدبية، التى استعنت بها كشواهد على معاناة شاعرى هذا البحث من أوضاع عصريهما.

وقد تناولت فى الفصل الثانى من بابى الرسالة الأول والثانى، ترجمة عمر الخيام وأبى العلاء وسيرتهما، ونقلت حقائق تجاهلها كثير من المعنيين بدراسة الأدب وتاريخه. وبعد سرد عدد من الألقاب وخاصةً تلك التى اختصت بالخيام من قبيل: الإمام، والحجة، وسيد الحكماء و...، تبيّن أن شخصية الخيام بعيدة جدًا عما تعكسه الرباعيات المنحولة عليه بالطبع، عن شخصيته العلمية الفلسفية التى عُرفَ بها فترة حياته. فتزايد عدد الرباعيات، خاصةً بعد وفاة الخيام طوال قرون متمادية حتى يومنا هذا، يعتبر أكبر دليل على ذلك.

بعد ذلك تتبعت فى هذا الفصل محطات عدة من حياة الشاعرين بدءًا بنشأتهما، فكان الخيام قد نشأ فى نيسابور وكان أبو العلاء قد نشأ فى معرّة النعمان، ثم تعرضت إلى أسفارهما وأعمالهما العلمية والأدبية.

وفى حديثى عن أسفار المعرى أشرت إلى أن سفره إلى أنطاكية وطرابلس ومروره باللاذقية والتقاءه براهب مسيحى وحفظه ما يُملى عليه وتشككه فى دينه إثر ذلك، ثم دراسته للدين النصرانى والدين اليهودى، كلها أمور فيها شكوك لا يمكن القطع بصحتها، ولدعم هذا القول، ذكرت أسبابًا كان أولها قول أبى العلاء المعرى نفسه إذ أكد فى ما أورده فى إحدى رسائله، على أنه لم يأخذ العلم حتى سن العشرين، من عراقى ولا شامى؛ وقد تحدثت فى هذا الفصل أيضًا عن خمرة الخيام التى اشتهرت رباعياته بذكرها ووصفها، وتطرقت إلى زهد أبى العلاء وآثاره على حياته وفى الفصل الثالث من بابى الرسالة الأول

والثانى، عرجت بالحديث على آراء الشاعرين الفلسفية بعد أن تعرضت فيه إلى الفلسفة وتعريفها، وتعداد موضوعاتها، ثم منشأ ظهورها فى عصرى الشاعرين، وذكرت مصادر ثقافتهما الفلسفية، التى نشأت عنها آراؤهما الفلسفية نثرًا ونظمًا. وقد اعتمدت فى بيان آراء أبى العلاء الفلسفية، بالإضافة إلى "رسالة الغفران" وكتاب "الفصول والغايات" على ديوانه "لزوم ما لا يلزم". أما آراء الخيام فقد تناولتها من خلال رسائله الفلسفية فى الوجود وأيضًا من خلال رباعياته التى ترجمها الشاعر العربى أحمد الصافى النجفى.

وبما أن موضوع الرسالة يهدف إلى دراسة آراء الشاعرين الفلسفية، ومقارنة بعضها ببعض، فقد خصصت الباب الثالث بعنوان: "دراسة مقارنة بين عمر الخيام وأبى العلاء المعرى". وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول، أما الفصل الأول فقد سلطتُ فيه الضوء على التفاعل الفكرى بين الأمتين العربية والإيرانية، وتعرضت فيه إلى الحديث عن أثر اللغة العربية فى اللغة الفارسية باعتبارها لغة القرآن والدين المشترك بين المسلمين، وبيّنت من خلال ذلك كيف أن التزاوج بين اللغات كان من عوامل الإثراء والإثراء بالنسبة للحضارتين العربية والفارسية، الأمر الذى سهّل الأخذ والعطاء بين الشعبين، فتُرجمت المؤلفات من اللغتين، وتوفّر عدد كبير من الفرس الذين تعلموا اللغة العربية، لتأليف آثارهم بالعربية. كما أشرنا إلى أن الفرس لنفوذهم فى الحكومة العباسية استطاعوا أن ينشروا لغتهم وثقافتهم بين العرب، ومن ذلك الحين دخلت الكلمات الفارسية فى اللغة العربية وامتزجت بها، فبرزت فى آثارهم المنثورة والمنظومة.

وفى الفصل الثانى تناولت وجوه الشبه بين آراء عمر الخيام وأبى العلاء المعرى من خلال أشعارهما، فكان أبرزها: الحديث عن الموت والحياة، والاعتقاد بالقضاء والقدر، وحشر الأجساد وبعثها من القبور، ثم مصير الإنسان ما بعد الموت، وغيرها من الأمور الميتافيزيقية التى طالما شغلت فكريهما وكانا قد اعتمدا فى معالجتها على العقل المطلق فانتهت بهما إلى اللا أدرية.

هذا، بالإضافة إلى اشتراكهما فى الأحاسيس والعواطف، فكلاهما عانيا ظروفًا صعبة طوال حياتهما، وتأثرا بأحداث عصريهما وبيئتهما. كما أنهما كانا يتصفان بصفات مشتركة منها قوة الحافظة، وعزة النفس، والقناعة، والإباء، والطموح، والشك، والتشاؤم الذى استولى على نفسيهما، كل ذلك يبين بوضوح من خلال دراستهما، ومطالعة أشعارهما.

أما الفصل الثالث من هذا الباب، فقد تناولت خلاله وجوه الاختلاف بين شاعرى بحثنا، فأشرت أولاً إلى الزهد الذى اتسم به أبو العلاء المعرى طوال حياته وقد خالفه فى ذلك عمر الخيام بإقباله على الحياة. وثانيًا الخمرة التى اشتهرت بذكرها وبالدعوة إلى شربها لنسيان الهموم الرباعيات المنسوبة إلى الخيام، وقد حرّمها أبو العلاء لأنه لم يرفيها سوى الضرر، باعتبارها تزيل العقل وتُفقد صاحبها وعيه ووقاره. بعد ذلك، تطرقت إلى موقف كل منهما بشأن "المرأة"، فكان أبو العلاء ينظر إليها نظرة سوء، ويعدها شرّ مخلوق، كما كان يحمد من بين النساء، الفاضلات المتخلقات بمكارم الأخلاق. أما الخيام فقد كان وفق ما تعكس ذلك الرباعيات المنسوبة إليه يحمد فى المرأة حسنها وجمالها الظاهرى.

والله ولى التوفيق

طهران فى ٨ مايو ٢٠٠٢

د. تغريد زعيميان